سلسلة كتيبات شبكة بينونة









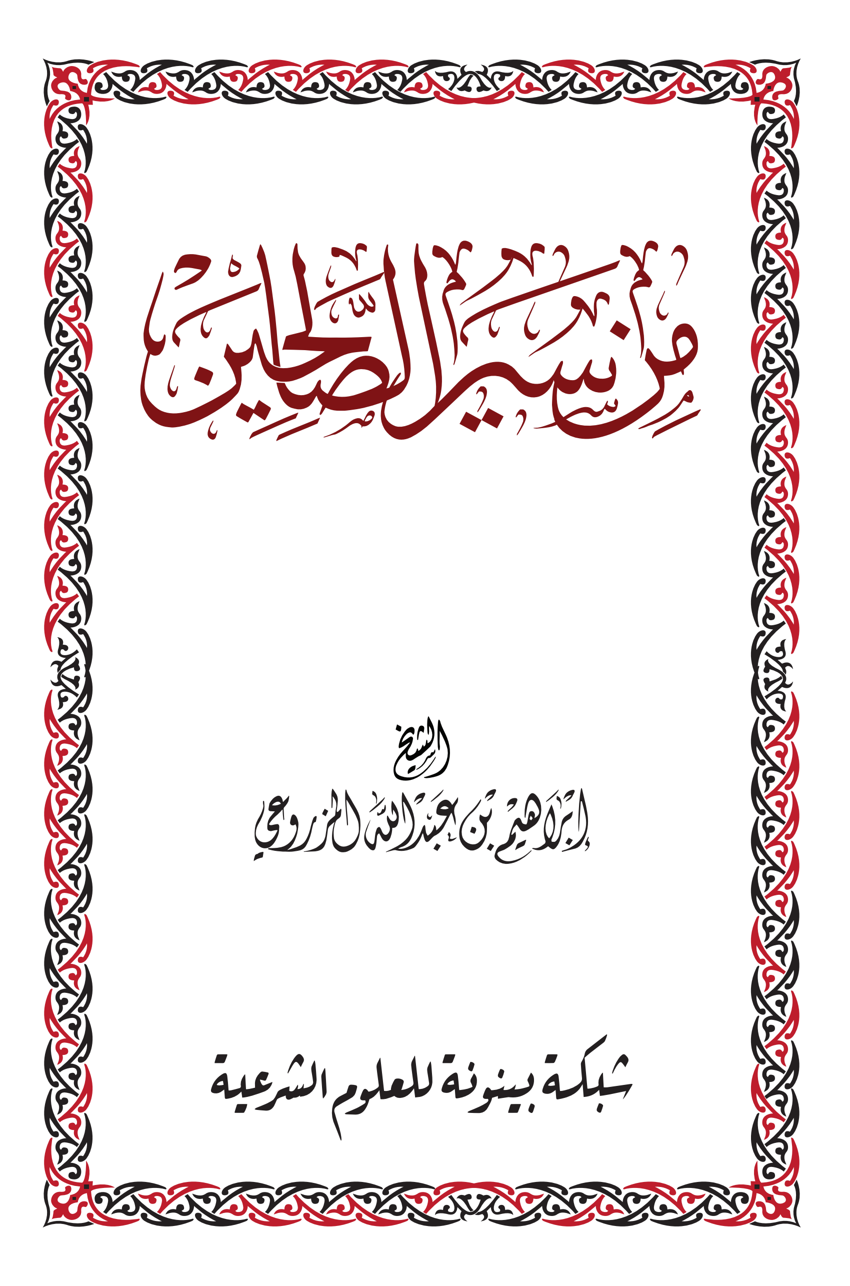









من سير الصالحين



من سير الصالحين

الشيخ

إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية



بسم الله الرحمن الرحيم
البينونة
حقوق الطبع محفوظة
للمزيد من الكتب
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمة الإسلام، وعلىٰ نعمة الصحة والأمان، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة.

هذه المحاضرة بعنوان «**مِن سير الصالحين**».

إن الكلام عن سير الصالحين فيه شحْذُ الهمم إلىٰ

الاقتداء بهم، والتشبه بهم؛ لأن النظر والاطلاع علىٰ سير الصالحين من الصحابة وأئمة الإسلام والعلماء في أخلاقهم وعبادتهم وتعاملهم وصلاح سريرتهم وسلامة صدورهم وغير ذلك؛ إن النظر والاطلاع علىٰ سيرهم مما يزيد من همة المسلم، ويحثه علىٰ الاقتداء بهم، والتمسك بآثارهم، وقراءة أخبار الصالحين قراءةٌ من نوع آخر؛ فهي تحرك القلوب، وتشحذ الهمم، وتصلح النفوس، كيف لا! وهي أخبارُ قومٌ عرفوا ما لهم وما عليهم، عرفوا كيف يسيرون إلىٰ الله، عرفوا كيف يعاملون الناس، عرفوا كيف ينصرون دين الله -تعالىٰ-، عرفوا المعنىٰ الحقيقي للحياة.

أخبار وسير الصالحين أخبار خير أمةٍ وأفضلها، بل هم خير الناس بعد الأنبياء -صلوات الله عَزَّوَجَلَّ وسلامه عليهم أجمعين-.

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه لطائف المعارف:

يقول: «من أين في الأمم مثل أبي بكر الصديق، أو عمر الذي ما سلك طريقًا إلا هرب الشيطان من ذلك الطريق، أو عثمان الصابر علىٰ مر الضيق، أو عليٍّ بحر العلم العميق، أو حمزة والعباس، أفيهم مثل طلحة والزبير القرينين، أو مثل ابن عوف وأبي عبيدة ومَن مثل الاثنين، إن شبهتهم بهم أبعدتم القياس، من أين في زهاد الأمم مثل أويس، أو في عبادهم مثل عامر بن قيس، أو في خائفهم مثل عمر بن عبد العزيز، أفيهم أعلىٰ من الحسن البصري وأنبَل، أو ابن سيرين الذي بالورع تقبل، أو سفيان الثوري الذي بالخوف والعلم تسربل، أو مثل أحمد الذي بذل نفسه لله وسَبَّل» [(١)]، انتهىٰ كلامه.

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صيد الخاطر: «**رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي القلب**

(١) لطائف المعارف ص٩٠.

إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلىٰ ذوق معانيها والمراد بها، وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق؛ لأني وجدتُ جمهور المحدثين وطلاب الحديث همةُ أحدهم في الحديث العالي وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يُغالَب به الخصم، كيف يرقّ القلب مع هذه الأشياء؟ وقد كان جماعة من السلف يقصِدون العبدَ الصالح للنظر إلىٰ سَمتِه وهديِه، لا لاقتباسِ علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسِمَته؛ فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا؛ ليكون سببًا لرقة قلبك» (٢).

وفي هذه المقدمة إذا فعل المسلم ذلك، ونظر في سير الصالحين واقتدىٰ بهم؛ ظهر أثر ذلك مع الأيام في حالةِ

---

(٢) صيد الخاطر ص٢٢٨، ٢٢٩.

قلبه وفي عبادته وتعامله وأخلاقه؛ فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا وإياكم الاقتداء بسير الصالحين.

نذكر شيئًا من سيرهم لنقتديَ بهم، ونقتفي آثارهم، ولا شكَّ أن من سادة الصالحين صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصحابة، الذين هم أعلم الناس بالقرآن والسّنة بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كانوا أبرَّ قلوبًا، وأعمق علمًا، وأقل تكلُّفًا، وأقرب إلىٰ أن يُوفَّقوا لما لَمَ نُوفَّق له نحن؛ لما خَصَّهُمُ الله تعالىٰ من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المُعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوىٰ الرب تعالىٰ؛ فالعربية طبيعتُهُم وسليقتُهُم، والمعاني الصحيحة مَركوزةٌ في فِطَرِهِم وعقولِهم»** (٣).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠).

أما الكلام عن سِير الصالحين فيطولُ، ولا تكفي فيه محاضرة واحدة، لكن لا بدَّ من الاطّلاع علىٰ بعضِ سِيَرِهِم، وسنتكلم عن بعض سير الصالحين في ثلاثة أبواب فقط من أبواب الدِّين:

في بابِ تمسُّكِهِم بالكتاب والسنة والأثر.

وفي باب العلم والعلماء.

وفي باب التقوىٰ والورع.

أما في باب تمسُّكِهِم بالكتاب والسنة والأثر؛ فمِن سِيَرِهِم وأقوالهم: يقول عمر بن عبدالعزيز: «**سَنَّ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وولاةُ الأمرِ بعدَه سُنَنًا، الأخذُ بها اتباعٌ لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، واستكمال لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وقوةٌ علىٰ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلُها، ولا النَّظَرُ في شيءٍ خالَفَها، مَن اهتدىٰ بها فهو مُهتَدٍ، ومَن استنصرَ بها فهو منصور، ومَن تركَها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله تعالىٰ ما تولىٰ،**

وأصلاه جهنم وساءت مصيرا» [٤].

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شيءٌ من سيرة هؤلاء الصالحين؛ فعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحثُّ علىٰ التمسك بالكتاب والسنة، ويُبيِّن أن اتِّباع السنة، واتِّباع سنة الخلفاء الراشدين بعد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الأخذُ بها اتباعٌ لكتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، وقوةٌ علىٰ دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، لا يجوز تغييرُها ولا تبديلُها، مَن اهتدىٰ بها فهو مهتَد، ومَن تركَها اتبع غير سبيل المؤمنين، هذا شيء من سيرة هذا الإمام الخليفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعنه أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كتب إلىٰ الناس: **«إنه لا رأيَ لأحدٍ مع سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»** [٥]، فمن سيرة هؤلاء الصالحين أنهم يدعونَ إلىٰ التمسك بالكتاب والسنة والأثر.

هكذا أيضًا من سِيَرِهم يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(٤) الشريعة للآجري (١/ ٤٠٧)، تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٢٩٩) ط. عطاءات العلم.
(٥) الشريعة للآجري (١/ ٤٢٣)، إعلام الموقعين (٧/ ٤٥٨).

«كان والله مَن أدركتُ مِن صدر هذه الأمة ما قالوا بألسنتهم فكذلك في قلوبهم، كانوا والله موافقين لكتاب ربهم ولسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا جَنَّهُمُ الليلُ فقيامٌ علىٰ أطرافهم، يفترشون وجوههم تجرِي دموعُهُم علىٰ خدودهم، يرغبون إلىٰ ربهم في فِكاكِ رِقابِهِم، إذا أشرفَ لهم من الدنيا شيء أخذوا منه قُوتَهُم، ووضعوا الفضلَ في مَعَادِهِم، وأدَّوا إلىٰ الله فيه الشكر، وإن زَوَىٰ عنهم استبشروا، وقالوا: هذا نظر من الله واختبارٌ منه لنا، إن عملوا بالحسنة سرَّتهُم، ودعوا اللهَ أن يتقبَّلَها منهم، وإن عملوا بالسيئة ساءَتهُم واستغفروا الله منها» (٦).

ذكر هذا الأثر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ ابنُ أبي الدنيا في موسوعته؛ فهذا الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ من التابعين يذكُر شيئا من سِيَر صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا جَنَّهُمُ الليلُ فقيامٌ علىٰ أطرافهم، يقومون الليل، ويصومون

(٦) موسوعة ابن أبي الدنيا (١/ ٣٣١).

النهار، تجرِي دموعُهُم علىٰ خدودهم من الخشية من الله عَزَّوَجَلَّ، يرغبون إلىٰ ربهم في فِكاكِ رِقابِهِم، إذا أشرفَ لهم من الدنيا شَيءٌ أخذوا منه قُوتَهُم، ووضعوا الفضلَ في مَعَادِهِم، تصدَّقوا وأطعموا الطعام، وأهدوا الهدايا للناس مما زاد عن حاجتهم، يريدون الآخرة، يريدون الله والدار الآخرة، أدَّوا إلىٰ الله فيه الشكر.

أيضًا من سيرهم: يقول المعتمر بن سليمان التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«مات صاحبٌ لي كان يطلب معي الحديث؛ فجزعت عليه، يقول خفت عليه، فرأىٰ أبي جزعي عليه، فقال أبي: يا معتمر، كان صاحبك هذا علىٰ السنة؟ قلت: نعم، قال: فلا تجزع عليه، أو: لا تحزن عليه»** (٧)، لا تجزع عليه ما دام علىٰ السنة، فمن سيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أنهم كانوا يعملون بالسنة، ويعتنون بالسنة، ويعلّمون الناس السنة، ويصبرون علىٰ السنة،

(٧) حلية الأولياء (٣/ ٣١).

قال: كان صاحبك هذا علىٰ السنة؟ قلت: نعم، قال: فلا تحزن عليه، ما دام أنه مات علىٰ السنة فهو في خير، ذكر هذا الأثر عن المعتمر بن سليمان التيمي في حلية الأولياء. هكذا أيضًا يقول أبو العالية :«**مَن مات علىٰ السنة مستورًا فهو صدّيق**» [(٨)]، ويقال: الاعتصام بالسنة نجاة، وهكذا الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «**كان مَن مضىٰ من علمائنا يقولون: إن الاعتصامَ بالسنة نجاة**» [(٩)]، وأثر أبي العالية ذكره البغوي في «**شرح السنة**»، وأثر الزهري في حلية الأولياء، ويقول أبي عُبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«**المتبع للسنة كالقابض علىٰ الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله**» [(١٠)]، الذي يتبع السنة ويتمسك بها أفضل من

---

(٨) شرح السنة (١٢٦ - ١٢٩)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ (٢/ ٤٢).

(٩) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٩).

(١٠) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام ص ٣٧، عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٢٥٢.

الجهاد في سبيل الله.

كان من سيرهم ؛ كانوا يعتنون بالسنة، ويدعون إلىٰ السنة، وهذا الأثر عن أبي عبيد ذكره الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «**عقيدة السلف أصحاب الحديث**»، ويقول يونس بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العجب ممن يدعو اليوم إلىٰ السنة، وأعجب منه مَن يُجيب إلىٰ السنة؛ فيقبل**»[(١١)]، ذكره البغوي في «**شرح السنة**»، هكذا من سيرهم كانوا يعتنون بالسنة ويحُثُّون باتباع السنة، يقول عبدالله بن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو عند الموت: «**السنةَ السنة، وإياكم والبدع... حتىٰ مات!** »[(١٢)]، وهكذا يقول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام؛ يقول: «**اصبر نفسَكَ علىٰ السنة، وقف حيث وقف القوم، وخذ بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا عنه، واسلُك سبيلَ سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم،**

(١١) شرح السنة (١٢٦ - ١٢٩).

(١٢) المرجع السابق.

ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعلم، ولا يستقيم الإيمان بالقول والعمل إلا بالنية موافِقةً للسنة»[١٣].

وهذا الأثر يُبيّن لنا بأن طريق السلف الصالح طريق قديم، ليس طريقًا محدثًا كطرق الجماعات والأحزاب، هذا الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القرن الثاني من الهجرة، يقول: اسلك سبيل سلفك الصالح، طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومَن سار علىٰ هديهم وطريقتهم إلىٰ يوم الدين، هذا طريق قديم، كان عليه صحابة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن سير هؤلاء الصالحين أنهم يحثون علىٰ اتباع سبيل السلف الصالح؛ منهجهم، طريقتهم، فهمهم لهذا الدين.

ويقول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا: **«عليك بآثار من سلف وإن رفضَك الناس، وإياك وآراءَ الرجال وإن**

(١٣) حلية الأولياء (٢/ ٢٩١).

زخرفوا لك بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»(١٤)، وهكذا أيضًا يقول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«مَن لزِمَ السنة وسَلِمَ منه أصحابُ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم مات؛ كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن كان له تقصيرٌ في العمل»**(١٥).

هذا الأثر عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدعو إلى الالتزام بالسنة؛ هذا شيء من سيرهم، من سير هؤلاء الصالحين في التمسك بالكتاب والسنة.

ويقول مالك أيضًا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«إن حقًا على مَن طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشية، وأن يكون متبِعًا لأثر مَن مضى قبله»**(١٦).

وهكذا يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«كل ما قلته فكان من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافُ قولي مما صحّ؛**

(١٤) تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٨٣).

(١٥) شرح السنة ص ١٢٦.

(١٦) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٤).

فهو أولىٰ، ولا تُقلِّدوني» [١٧].

ويقول أيضًا: **«إذا وجدتم في كتابي خلافَ سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودَعُوا ما قلتُ»** [١٨]، وهكذا أيضًا يقول: **«إذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنةٌ فاتبعوها ولا تلتفتوا إلىٰ قول أحد»** [١٩].

هذه الآثار من آثار سلفِنا الصالح في الدعوة للتمسك بالكتاب والسنة؛ فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا وإياكم اتباع هديهم، والسير علىٰ طريقتهم.

ويقول أبو العباس بن عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«مَن ألزمَ نفسَه آداب السنة غمر الله قلبَه بنور المعرفة. ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بآدابه قولًا وفعلًا ونيةً وعقدًا»** [٢٠].

---

(١٧) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣).

(١٨) المرجع السابق (١٠/ ٣٤).

(١٩) حلية الأولياء (٩/ ١٠٧).

(٢٠) المرجع السابق (١٠/ ١٠٥).

وقال مطر الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«عمل قليل في سُنّة خيرٌ من عمل كثير في بدعة، ومَن عمل عملا بسُنّة قبل الله منه عمله، ومَن عمل عملًا في بدعة ردَّ الله عليه بدعتَه»** [٢١].

هذا شيءٌ من سير الصالحين في الحث علىٰ العمل بالسنة وترك البدع، وذم البدع وأهلها. هذا الباب الأول الذي أردنا أن نذكر فيه شيئا من سِيَر هؤلاء الصالحين.

أما الباب الثاني ففي باب العلم والعلماء؛ توقير العلم وأهل العلم هذا منهجٌ سار عليه هؤلاء الصالحون، نذكر شيئا من سير هؤلاء الصالحين في هذا الباب: فعن أبي وائل: أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ رجلًا قد أسبلَ -أسبل: يعني أسبل إزاره؛ لبس ثوبًا طويلًا أسفل من الكعبين؛ هذا هو الإسبال- أن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ رجلا قد أسبل؛ فقال: ارفع إزارَك. فقال: وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك، قال: إن بساقَيَّ حُمُوشةً، وأنا أؤمُّ

(٢١) حلية الأولياء (٣/ ٧٦).

الناس، أتىٰ بالعذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا يجادله؛ فبلغ ذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجعل يضرب الرجل ويقول: أترد علىٰ ابن مسعود؟ [٢٢] أترد علىٰ ابن مسعود؟ فهذا شيء من سيرهم في توقير العلم وأهل العلم، والتأدب مع العلماء؛ فابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من علماء الصحابة، وهذا يرد عليه؛ فأدَّبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجعل يضرب الرجل، ويقول: أترد علىٰ ابن مسعود؟ وهذا الأثر في سير أعلام النبلاء.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تُحبُّوهم فلا تبغضوهم**»[٢٣].

وعن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب، زيد بن ثابت من علماء الصحابة، وابن عباس أيضًا في ذاك الوقت كان من صغار الصحابة،

---

(٢٢) تخريج سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩٢).

(٢٣) صفة الصفوة (١/ ٢٤٠).

يطلب العلم عند زيد بن ثابت؛ فعن ابن عباس: **«أنه أخذ لزيد بن ثابت** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **بالركاب؛ فقال زيد بن ثابت: تنَحَّ يا ابن عم رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكُبرائنا»** (٢٤).

هذا شيء من سيرتهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كانوا يُقدِّرون العلم والعلماء، فهذا عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يفعل هكذا بالعالِم، يُوقِّر هذا العالِم زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فيقول له: تنَحَّ يا ابنَ عمِّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا، ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء.

وسُئل ابنُ المبارك، عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ التابعي الجليل، سُئل بحضور سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سُئل عن مسألة فقال: **«إنا نُهينا أن نتكلم عند أكابرنا»** (٢٥)، في سيرة هذا الإمام سفيان بن عيينة، من الكبار، من كبار العلماء،

---

(٢٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٣٧)، البداية والنهاية (١/ ١٧٠)، حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/ ١٩٢).

(٢٥) المرجع السابق (٢/ ٤٢٠).

فعبدالله بن المبارك رفض أن يجيب أو يتكلم في حضور هذا العالم الكبير، هذا أدب، هذا شيء من سيرهم، من سير هؤلاء الصالحين، علينا أن نقتدي بهم، ونتأدب مع علمائنا، علماء أهل السنة والجماعة.

وذكَر رجلٌ عند الحسن بن ذكوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالمًا بشيء، فقال: «مَه، **لا تذكرُ العلماء بشيء**»، ذكَر رجلٌ عالمًا بشيء، اغتاب عالمًا من العلماء بحضرة الحسن بن ذكوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له: «مَه، **لا تذكرُ العلماء بشيء؛ فيُمِيتُ الله قلبك**» [٢٦]، لا تذكروا العلماء بشيء، يعني بسوء فيُمِيتُ الله قلبَك. ذكره ابن أبي الدنيا في موسوعته.

وهكذا لو اطلعنا علىٰ سير هؤلاء العلماء، هؤلاء الصالحين؛ لوجدنا الكثير مما يدل علىٰ ترغيبهم في العلم وفضله وتوقيرهم لأهل العلم.

عن ابن أبي أويس قال: «**كان مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إذا**

(٢٦) الصمت لابن أبي الدنيا ص ٢٦٧.

أراد أن يُحدِّثُ توضأ وجلس علىٰ صدر فراشه، وسرَّحَ لِحيتَه، وتمكَّن من الجلوس بوقار وهيبة ثم حدَّث، فقيل له في ذلك، فقال: أحبُّ أن أُعظِّم حديثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أُحدِّث به إلا علىٰ طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو مستعجل فقال: أحب أن يُفهم ما أحدّث به عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢٧]، هكذا كان توقيرهم للعلم، ولأحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا مالك إمامنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أراد أن يحدّث بالأحاديث ويروي الأحاديث؛ يتوضأ ويجلس، ويُسرِّح لحيتَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويتمكَّن من الجلوس بوقار وهيبة، ثم يحدِّث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا شيء من سيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

ومن سِيَرِهِم أيضًا في ترغيبهم في العلم وفضله: ما يذكُرُ صاحبُ حلية الأولياء بسنده عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله تعالىٰ

(٢٧) المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ للبيهقي ص ٣٩٢، مقدمة ابن الصلاح ٤٢٣.

خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل علىٰ السراء والضراء، والسلاح علىٰ الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالىٰ به أقواما، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدىٰ بفعالهم، وينتهىٰ إلىٰ رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتىٰ الحيتان في البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة. والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه

الأشقياء»(٢٨) انتهىٰ كلامه.

وهكذا من سيرهم، من سير الصالحين رَحِمَهُمُ اللَّهُ عن الربيع، قال: **«سمعت الشافعي، يقول - وذكر من يحمل العلم جزافا - قال:« هذا مثل حاطب أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعىٰ فتلدغه وهو لا يدري»، قال الربيع يعني الذين لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم، وهو لا يدري علىٰ غير فهم، فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق وعن المبتدع وغيره، فيحمل عن الكذاب والمبتدع الأباطيل، فيصير ذلك نقصًا لإيمانه وهو لا يدري»** (٢٩).

وقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ونصيحته لمَن يطلب العلم بأنه يتثبت، ويعتني بالدليل، ويأخذ من الأدلة التي ترِدُ منه؛ يأخذ الثابتَ منها، يأخذ المقبول من الأدلة، لا يطلب

(٢٨) حلية الأولياء (١/ ٢٣٨).
(٢٩) المرجع السابق (٩/ ١٢٥).

العلم علىٰ المبتدعة، لا يحمل عن الكذابين والمبتدعة هذه الأباطيل، هذا نقص في دينه.

هذا شيء من سير هؤلاء الصالحين في هذه المسألة أيضًا، ومن سِيَرِهم أيضًا في الباب الثالث الذي أردنا أن نذكر شيئًا من سيرهم في باب التقوىٰ والورع: «**يقولُ محمد بن المُنتشر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أن مسروقًا كان لا يأخذ علىٰ القضاء أجرًا، ويتأوَّل هذه الآية:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] »[٣٠]، هذه الآية التي في سورة التوبة يتأوَّلُها، يخاف من وَرَعِه أن يأخذ شيئا علىٰ القضاء، فكان لا يأخذُ أجرًا ولا جُعْلًا علىٰ قضائه بين الناس، وهكذا يقول هشام بن حسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كان محمد بن سيرين يتَّجِرُ فإذا ارتاب في شيء تركَه**»[٣١]، شك في أي شيء

(٣٠) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٨).

(٣١) المرجع السابق (٤/ ٦١٨).

من الأمور.

وعن ميمون بن مهران قال: **«قدمتُ الكوفة وأنا أريد أن أشتري البَزّ -البَزّ: الحرير، نوعٌ من الحرير، نوعٌ من القماش، نوعٌ من الثياب- فأتيتُ ابنَ سيرين بالكوفة فساومتُه؛ فجعلَ إذا باعَنِي صِنفًا من أصناف البَزّ؛ قال: هل رضيتَ؟ فأقول: نعم، فيُعِيدُ ذلك عليَّ ثلاثَ مرات، ثم يدعو رجلين فيُشهِدُهما، وكان لا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم، فلما رأيتُ ورَعَه ما تركتُ شيئًا من حاجتي أجدُهُ عنده إلا اشتريتُه حتىٰ لفائفَ البز»** (٣٢).

هذا يذكر شيئا من سير هؤلاء، من سيرة هذا الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من ورَعه أنه كان تاجرًا فإذا باع شيئًا يقول للمشتري: أرضيت؟، ثلاث مرات، يريد رضاه، لا يريد أن يظلم أحدًا من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل يدعو رجلين فيُشهدهما علىٰ هذه البيعة

(٣٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٢٠).

حتىٰ لا يأتي هذا المشتري ويُحاجُّه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، هو لا يفعل حرامًا، ولا يبيع حرامًا، ولا يتعامل بالحرام، لكن من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا شيء من سير هؤلاء الصالحين، من ورعهم، وهكذا يقول عون بن المعتمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«أن عمر بن عبدالعزيز قال لامرأته: عندك درهم أشتري به عنبًا؟ هو أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز -أمير المؤمنين- يقول لامرأته: عندك درهم أشتري به عنبا؟ قالت: لا، قال: فعندك فلوس؟، قالت: لا، أنت أمير المؤمنين ولا تقدر علىٰ درهم! قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنّم»** [٣٣]، علِمَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه مَن وليَ شيئًا من أمور المسلمين يأتي يوم القيامة وهو مغلولٌ، ، فَكَّه بِرُّه، أو أوثَقَه إثمُهُ [٣٤]، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن ورعه وهو أمير المؤمنين لا يأخذ شيئًا من بيت المال، لا يأخذ درهما،

(٣٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤).

(٣٤)أخرجه أحمد (٢٢٣٠٠)، والطبراني (٨/ ٢٠٤) (٧٧٢٤) بلفظ:=

وامرأته تقول له: أنت أمير المؤمنين ولا تقدر علىٰ درهم! قال: هذا أهون من معالجة الأغلال في جهنّم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعن عبدالرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**أكل مَعمَر من عند أهله فاكهة، ثم سأل، فقيل: هدية من فلانةُ النوّاحة، فقام فتقيَّأ، وبعث إليه معنُ والي اليمن بذهب فردّه، وقال لأهله: إن علِمَ بهذا غيرُنا لم يجتمع رأسي ورأسُكِ أبدًا**» (٣٥).

هذا الإمام معمر بن راشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكل هذه الفاكهة عند زوجته، ثم سأل: من أين هذه الفاكهة؟، فقيل له: هدية من فلانة النوّاحة، فلانة تنوح، تعمل هذه المعصية، أهدت لهم فاكهة، فقام فتقيَّأ؛ لأنه من ورِعه شك في أن هذه النوَّاحة أتت بهذه الفاكهة من أجرة النياحة فشك

= «ما مِن رجل يلي أمرَ عَشرةٍ فما فوقَ ذلكَ إلّا أتىٰ اللهَ مَغلولًا يومَ القيامةِ يَدُه إلىٰ عُنقِه، فَكَّه بِرُّه، أوْ أوثَقَه إثمُهُ، أولُها مَلامةٌ، وأوسطُها ندامةٌ، وآخرُها خِزيٌ يومَ القيامةِ».

(٣٥) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤).

في ذلك فقام فتقيأ، وبعث إليه أيضًا معنٌ والي اليمن، أرسل إليه هذا الوالي ذهبًا، فرده من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا شيء من سير هؤلاء الصالحين ومن ورعهم ومن خوفهم من الله عَزَّوَجَلَّ.

هكذا أيضًا يقول الحسن بن الربيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لما احتُضِر ابن المبارك في السفر، عبدالله بن المبارك التابعي الجليل، قال: أشتهي سويقًا، وهو في مرض الموت، قال: أشتهي سويقًا، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، يعني: لم يجدوه إلا عند رجل كان يعمل موظفا عند السلطان، وكان معنا في السفينة، فذكرْنا ذلك لعبدالله فقال: دعوه. فمات ولم يشربه**»[٣٦]، هذا شيء من سيرهم.

وهكذا يقول علي بن الفضيل: «**كان يحمل علىٰ أباعر لأبيه، -كان يحمل ويتاجر علىٰ بعض الأباعر،**

(٣٦) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٤).

بعض الجمال يتاجر فيها، وهذه الأباعر لأبيه، فنقص الطعام الذي حمله فحُبِس عنه الكراء، الأجرة حُبِسَت عنه، مُنِعَت عنه هذه الأجرة، فأتىٰ الفضيل إليهم، أبوه أتىٰ إلىٰ هؤلاء الناس، فقال الفضيل بن عياض: أتفعلون هذا بعليّ؟ لماذا توقفون عنه الأجرة!؟ فقد كانت لنا شاة بالكوفة أكلت شيئًا يسيرًا من علفِ أمير، أمير من الأمراء، يقول عنِ ابنه عليّ: فما شرب لها لبَنًا بعدُ»(٣٧)، يقول: هذا ابني، من أورع الناس ومن أخوف الناس، تتهمونه أنه أخذ من الطعام الذي حمله وتحبسون عنه الأجرة؟ هذه سيرة ابني، سيرة ابني علي، من ورعه يقول الفضيل: كانت لنا شاة بالكوفة أكلت شيئًا يسيرًا من علفِ أمير، فما شرب علي ابني هذا ما شرب لها لبن بعد، هذه الشاة، لأنها فقط أكلت من علف أمير من الأمراء، ماذا قالوا؟ قالوا: لم نعلم يا

(٣٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٦).

أبا عليّ أنه ابنك. هذا الأثر ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، في سيرة هذا الإمام (٨/ ٤٤٦)، هذا شيء من سير هؤلاء الصالحين ومن ورعهم وخوفهم من الله عَزَّوَجَلَّ.

هكذا يقول أيضًا عبدالرزاق: **«وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته نفدت فأخذتُ بيده فأقمْتُه خلفَ الباب وما معنا أحد؛ فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا دنانير، إذا بعنا الغَلَّة أشغلناها في شيء، وقد وجدتُ عند النساء عشرة دنانير فخذها، وأرجو ألا تنفقها حتىٰ يتهيأ شيء، فقال لي: يا أبا بكر، لو قبلتُ من أحدٍ شيئًا قبلتُ منك»** [٣٨]؛ فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام أحمد بن حنبل لا يقبل من أحد شيئًا، من خوفه ومن ورعه، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا وإياكم علىٰ الاقتداء بسير هؤلاء الصالحين.

(٣٨) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٦).

ونختم بهذا الأثر عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب الصحيح؛ قال: «**ما توليتُ شراء شيء ولا بيعه قط، فقلت له: كيف؟ يقول الراوي: كيف وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت إن توليت أن أستوي بغيري. قلت: فمَن كان يتولىٰ أمرك في أسفارك ومبايعاتك؟، قال: كنت أُكفىٰ ذلك**»[(٣٩)]، يعني كان غيري يشتري، من ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كان يتعامل مع التجار، لا يشتري ولا يبيع خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ من أن يَظلِم أو يُعِين علىٰ معصية أو يشتري حرامًا، أو يبيعَ حرامًا، قال: ما توليتُ شراء شيء ولا بيعَه قط، قال: لما فيه من البيع والشراء، من الزيادة والنقصان والتخليط والغش والرشوة وغيرها من المخالفات الشرعية. هذا يدل علىٰ ورعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذا الأثر عن البخاري. رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكره أيضًا الذهبي في

(٣٩) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٢).

سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٤٦).

هذا ما أردنا أن نذكره من سير هؤلاء الصالحين؛ فالكلام عن سيرهم فيه شَحذ الهمم إلىٰ الاقتداء بهم، والنظر والاطلاع علىٰ سير الصالحين؛ علىٰ عباداتهم وأخلاقهم وورعهم وتقديرهم للعلم والعلماء، وعملهم بالكتاب والسنة، وسلامة صدورهم؛ مما يزيد من همة المسلم ويحثه علىٰ الاقتداء بهم والتمسُّك بآثارهم؛ فنشكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أن هدانا للنظر في سير هؤلاء، كما نشكر من اختار هذا العنوان (من سير الصالحين) لهذه المحاضرة التي ذكَّرتنا بسِير هؤلاء الصالحين، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننا وإياكم علىٰ شكره وذكره وحسن عبادته، كما نسأله سبحانه أن يفقهنا وإياكم في ديننا، ونسأله أن يحسن لنا ولكم الختام، ونسأله سبحانه أن يحفظ بلادنا دولة الإمارات من كل سوء وفتنة، نسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمورنا

لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

سلسلة كتيبات شبكة بينونة

من سير الصالحين

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

